

## عندما يحلم الأطفال .

هناك سؤال يتكرر دائماً على ألسنة الكثيرين من الآباء والأمهات

وهو هل يحلم الأطفال ؟

فهم يريدون - ومنذ الأيام الأولى في حياة أطفالهم - التعرف على عالمهم " فسي الخاص بكل أسراره ودقائقه الحقيقية، إن الإجابة عنه تحتاج إلى أن ندخل هذا العالم. لنعرف حقاً هل يحلم الصغار وعن أي شيء تدور أحلامهم . وهل تعتبر هذه الأحلام شيئاً طبيعياً أو غير طبيعي ...

وما مدى تأثيرها على سلوك الصغير وعلى حياته في المستقبل ...؟

نبدأ فنقول :

تماماً مثل الكبار فإن الطفل له عالمه الخاص به ...

وكما يصاب الكبار بالمرض النفسي أو العقلي فإن الطفل معرض للإصابة ، فالقلق والاكتئاب والهستيريا والوسواس والفصام كلها أمراض تصيب الكبار والصغار على حد سواء ...

وقد يعجب الكثيرون كيف يصاب طفل بالاكتئاب ؟

والحقيقة أن الطفل يقلق ويتألم ويكتئب تماماً مثل الكبار ، بل وبصورة أشد وأخطر نظراً لأن أعراض هذه الأمراض لا تظهر بصورة مباشرة وإنما على هيئة اضطرابات في النوم والطعام والحركة والفرح والخوف بدون مبرر ...

ومن الأعراض الهامة التي تعبر عن اكتئاب الطفل التبول اللاإرادي .

وقديماً قال « فرويد » إن الخمس سنوات الأولى في عمر أي إنسان هي التي تحدد طبيعة شخصيته وسلوكه بعد ذلك .

وهي التي تحدد أيضاً مدى استعداد المرض النفسي أو العقلي ...

بل إن كثيراً من الأمراض النفسية والعقلية التي يعاني منها الكبار يكون مصدرها متاعب نفسية واجهها الإنسان في طفولته ...

وكما قال « فرويد » أيضاً عن الأحلام إنها النافذة التي نطل منها على العالم النفسي للإنسان ، ونستطيع أن نفهم منها ما يدور في عقله الباطن فإن الطفل يحلم أيضاً ، تعتبر أحلامه في كثير من الأحوال عن حالته النفسية وما يعانيه .

وهناك بحوث غير مؤكدة عن أن الطفل يحلم وهو في الشهر الرابع من عمره ، والدليل على ذلك تلك الابتسامة التي نراها على وجه الطفل وهو نائم ...

وأحلام الطفل ساذجة ومباشرة وتعبّر عن رغباته اليومية كأنه يحلم بدراجة أو بستان جديد أو بزهة يتناها ...

ولا نستطيع أن نحمل أحلام الطفل رموزاً أو معانٍ خفية ، وإنما هي تعبير صريح ومباشر عن رغباته ومعاناته اليومية ...

وقد يبكي الطفل في الحلم أو يفزع من حيوان مفترس ، أو يحلم بأنه يغرق أو أن سيارة تكاد تدمه ...

ومثل هذه الأحلام إذا لم تؤد إلى إيقاظ الطفل من النوم في حالة فزع . فإن الأمر حينئذ لا يعد خطيراً . وفي هذه الأحوال يجب أن نستمع إلى أحلام الطفل باهتمام ويجب أن نشجعه على أن يقصها علينا لنطمئن .

ويجب أن ندرس الظروف النفسية المحيطة بالطفل ، وأن ندلل الصعاب التي يواجهها حتى لا تتكرر مثل هذه الأحلام المزعجة ...

أما إذا صحا الطفل من نومه نتيجة لمثل هذه الأحلام وهو في حالة فزع ورعب شديدين فإن الأمر يعد خطيراً ...

وفي مثل هذه الأحوال يقوم الطفل من النوم وهو في حالة من الرعب ، وتكون عيناه زائفتين وعلامات الخوف على وجهه ، وقد يصرخ فزعاً من شيء غير محدد

وترتجف أطرافه ويبلل العرق جسده ...

وأي محاولة لتهديته تفشل ولا يستطيع أن يتذكر أي شيء عن حلمه ثم ينام مباشرة ولا يتذكر أي شيء مما يحدث ...

وهي ظاهرة خطيرة يجب أن تنتبه إليها إذ تسبب في اضطراب الأسرة بأكملها ويكون لها تأثير سيء على بقية الأخوة ...

ولابد في مثل هذه الأحوال استبعاد أي سبب عضوي كالصرع وتقص السكر في الدم أو نقص الأكسجين في حجرة الطفل أو وجود عائق يمنعه من التنفس السليم .

أما الأسباب النفسية فتكون مباشرة داخل محيط الأسرة كالشجار الدائم بين الوالدين ...

فلقد أثبتت أحد البحوث النفسية أن الرعب الليلي يكثر في أطفال لآباء مدمني الخمر ، الذين يعودون إلى منازلهم في ساعة متأخرة من الليل وهم سكارى ويصحو الطفل على شجار والده الكبير مع أمه ....

وأثبت نفس البحث كثرة حدوث الرعب الليلي في الأطفال الذين يشاهدون والديهم في أوضاع جنسية ...

وعموماً فإنه حين يضطرب نوم الطفل وخاصة إذا أصيب بالأرق فإنه من المهم استبعاد وجود أي سبب عضوي كاضطرابات الجهاز الهضمي .

وصعوبة التنفس والالتهابات الحية ...

ويعقب فترات القلق نوم مضطرب مصحوب بأحلام مفزعة ، وبعض الاضطرابات الحركية أثناء النوم .

وربما يتفوه بكلمات غير مفهومة كأنه يحلم ...

فإذا تأكد لنا عدم وجود سبب عضوي فإن السبب يكون واحداً من ثلاثة :

- اضطراب العلاقة بين الأب والأم .

- الضغط النفسي الشديد والمنافسة مع زميل له بالمدرسة أو مع أخوته .

- قسوة أحد الوالدين في توجيه الطفل ..

وتزداد حدة هذه الاضطرابات لو صاحبها ازدياد قلق الوالدين على حالة الطفل والعلاج المثالي في مثل هذه الحالات أن يلتقي الوالدان مع الطبيب النفسي ليوضح لهما الأمر . ويضع نظاماً لعلاج الطفل وإزالة الاضطرابات النفسية من قلق أو خوف أو اكتئاب والتي تظهر على هيئة اضطرابات النوم كالقلق والأحلام المزعجة والرعب الليلي .

ومن أشهر اضطرابات النوم عند الأطفال المشي أثناء النوم ...

وحدوثه مرة أو مرتين في حياة الطفل يعتبر شيئاً عادياً ، أما إذا تكرر فإنه يمكن اعتباره مظهراً لمعاناة الطفل النفسية . .

وعادة ما يقوم الطفل من النوم في هدوء ويبدو وكأنه قد استيقظ تماماً ، ويتجول في أنحاء الشقة وقد يفتح الباب ويحاول النزول وبذلك يكون معرضاً للخطر ... واستشارة الطبيب في مثل هذه الأحوال ضرورية لمعالجة الطفل ، بتهيئة الجو النفسي الملائم له ، أو بوصف الأدوية الطبية المناسبة لحالته .

